

تفسیر آیه الکرسی

از مؤلفی ناشناخته



تحقیق

سید محمدباقر موسویان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمه مصحح

مؤلف

رساله حاضر مربوط به تفسیر آیه الکرسی بوده، مؤلف آن مشخص نیست. اما با توجه به قرائن حدوداً از نگاشته های قرن ۱۰ هجری قمری می باشد و بر اساس استنادات به آیات قرآن و روایات نبوی و ائمه معصومین (علیهم السلام) و نقل اقوال مفسرین و تحول از علماء متنی وزین حاکی از آن است که مؤلف از فضل علمی بالایی برخوردار بوده است و نیز از آن جهت که مستندات روایی و ذکر اقوال مفسرین شیعی آن هم با احترام و به صورت زیاد می تواند بیانگر آن باشد که مؤلف شیعه بوده است.

رساله حاضر:

این اثر که گویی صفحه آغازین یا چند صفحه آغازین آن مفقود گردید و ناقص است تفسیر شریف آیه الکرسی بوده و اینکه آخر تفسیر به العلی العظیم ختم می شود قرینه است که ایشان همین آیه اول را آیه الکرسی می دانسته است.

در ابتدا می فرماید: کلمه توحید ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ ابتدای آن دلالت بر توحید و انتهای آن دلالت بر نفی شریک می کند و هر کس این ذکر را بگوید ایمن از شرک و در سلک مسلمین می باشد سپس می فرماید «اللَّهُ» مشتق از «اله» و به معنی تحیر یعنی عقول بشر متحیر است در شناخت ذات باری تعالی.

نویسنده محترم در این رساله نکات و اشارات خود را در قالب تتمه، تنبیه، تکلمه... بیان

می دارد.



در اولین تنه می فرماید: چرا کلمه ﴿اللّٰه لا اِلهَ اِلاَّ هُوَ﴾ به صورت رایج «لا اِلهَ اِلاَّ اللّٰه» نیامده است. در مقام پاسخ می گوید: مکلف شدن افراد امر شاق و پر زحمتی است مخصوصاً مکلف شدن به توحید چون مخالف با طبیعت انسان است، لذا ابتدا لفظ اللّٰه را ذکر نموده تا نوری از آن در قلب مؤمن بتابد و شرح صدر پیدا نماید که این خود موجب شجاعت قلبی و تقویت درونی شده و به این سبب از عهده تکلیف به توحید به آسانی خارج شده و با جان و دل بپذیرد.

سپس در رابطه با ﴿الْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾ می فرماید: نزدیکترین صفت به ذات باری تعالی حیوة است زیرا تأثیر کمالات و صفات متوقف بر قدرت و قدرت هم متوقف بر حیوة است، بنابراین «حی» اسم اعظم خواهد بود همچنان که اللّٰه چنین است و بعد از آنها «قیوم» از اعظم اسماء الهی است زیرا قیام کردن در تدبیر خلق اقرب و نزدیکتر است به خالق از سایر اوصاف.

البته ایشان از بحثای ادبی هم غافل نبوده مثلاً فرموده «حی» منقلب از حیاة شده و واو به یا و یا در یا ادغام گردیده است.

پرداختن به اقوال عالمان یا گرایش های کلامی و عقلی مانند علامه دوانی و به نقد گذاشتن کمالات آنان فضل بالای مؤلف را حکایت می کند.

در رابطه با «السنه و النوم» می فرماید معنای آن واضح است احتیاج به دقت در تعریف ندارد.

﴿له ما فی السموات و ما فی الارض﴾ ملکیت مستمره از آن خداوند است و ما سوی در مقابل او ذلیل و خاضع می باشند بلکه همه متوجه او بوده و مترصد فیض او می باشند. ﴿من ذا الذی یشفع﴾، شفاعت از آن خداوند است و مخصوص به آخرت نمی باشد و برای دیگران با اذن او ممکن خواهد شد. زیرا شخص شافع باید علم به جمیع حالات مشفوع له داشته باشد و هیچ امری برآن پوشیده نماند و این فقط از خداوند ساخته است لذا اذن او لازم است.

«کرسی» مخلوقی از مخلوقات خداوند است که تمام سموات سبع و ارضین سبع را در بر می گیرد، مراد از «کرسی» فلک البروج و مراد از افلاک علم می باشد، یعنی سعه علم او احاطه دارد.

در بخش پایانی رساله تحت عنوان خاتمه خلاصه ای در تفسیر و نکاتی را در این

مرحله متذکر می شود به عنوان نمونه می فرماید: آیه متشکل از ده یا دوازده جمله می باشد که تمام این جمله ها به وسیله الله تحقیقاً یا تقدیراً مثل لفظ «الله» و «هو» و صفات حضرت حق شروع شده که اشاره دارد بر اینکه نام «الله» بر هر شی ای باید مقدم شود.

از نکات دیگر این که تمام جملات به صورت کامل بوده زیرا با هر جمله جهتی از توحید را برای خداوند ثابت می کند، مثل توحید در یگانگی، توحید در تدبیر خلق و... که می توان با هر جمله موحد بودن را ثابت نمود یعنی هر یک از جملات کافی است در توحید.

و همین خصوصیت در ائمه اطهار علیهم السلام موجود می باشد که وجود هر یک از آنها کافی است برای امامت زیرا هر یک به نحو کامل امامت را بر عهده دارد و سایر خلق می توانند برای دریافت معالم دین به هر یک از ایشان مراجعه نمایند.

ضمناً لازم است از بزرگواران کتابخانه مسجد گوهرشاد و بخش فیلمتک آستان قدس رضوی بویژه جناب آقای سید رضا رضا پور که همکاری بسیاری نمودند تشکر می کنم. تحقیق این رساله بر اساس تنها نسخه موجود در کتابخانه گوهرشاد به شماره ۲۰۳۱ انجام شده.

سید محمد باقر موسویان



بسم الله الرحمن الرحيم

[٥]

﴿الله لا إله إلا الله﴾

... فلا يمكن ضرورة أن العلم ما وضع لشيء بعينه و تصوّره تعالى بشخصه للعرب بل لغيرها من الملاء الأعلى أيضا ممتنع و سيجي تحقيق ذلك من كلامنا .
ويرد على الرابع : أن الشارع جعل قولنا : ﴿لا إله إلا الله﴾ كلمة توحيد شرعاً ؛ فلذلك أفاده «لا إله» لما كان علماً شخصياً أفاده ، لعلمنا الضروري بأن الأعراب إذا جاءوا بها عند النبي ﷺ فتكلموا بذلك كانوا بمجرد ذلك التكلم مسلمين ، وإن لم يفهموا معناه مفصلاً ، و عصموا عن القتل ؛ و لو جعل الشارع أمراً آخر علامة الاسلام لجاز أيضا ؛ وذلك كما قيل : إن بعضهم إذا وضع شيئاً في الفم فذلك دليل الأمان ، و كما أن الأحراق بالنار لبعض النسوان عند الهنود و كالصبغ بالماء المعمودية إلى غير ذلك مما كان دالاً على ما هو مقصودهم .
قيل : و ربما يعارض الرابع ، بأنه لو كان علماً لفرد معين من مفهوم واجب الوجود ، لم يكن ﴿قل هو الله أحد﴾ مفيداً للتوحيد ، بجواز أن يكون لذلك المفهوم فردان أو أكثر في نفس الأمر و يكون لفظ الجلالة علماً لأحدهما مع أنهم جعل السورة من الدلائل السمعية للتوحيد .

ثم قيل : و يمكن أن يقال : إن أول هذه السورة إنما هو دليل سمعي على الأحديّة ؛ أي على عدم قبول القسمة بأبحاثها ؛ و أما الواحدية بمعنى نفي الشريك فإنما يستفاد من آخرها أعني قوله جلّ و علا : ﴿و لم يكن له كفواً أحد﴾ و بالنظر إلى ذلك سميت سورة التوحيد

انتهى .^١

و أنا أقول : فيه نظر ؛

أما أولاً ؛ فلأنّ الكلام إنّما هو في لفظ «الله» هل هو علم أم لا ؛ فإذا ثبت أنّه علم فقد ثبت المطلوب .



و أمّا أنّ مفهوم واجب الوجود كلي ، له أفراد غيره ؛ فلا مدخل له في مطلوبنا هذا و لیت شعري من ذا الذي قال : إنّ الله علم لمفهوم واجب الوجود أو من أين يلزمنا ذلك ؟ على أنّه قال بعض المحققين : لا يجوز إطلاق واجب الوجود عليه سبحانه في الشرع ، فإنّ أسماء الله توقيفيه و لم يرد إلى الآن ، فيه ما يدل على جوازه . نعم هو مطلب آخر برأسه في الحكمة و الكلام ؛ و كلامنا الآن ليس فيه ، كما لا يخفي على ذوي النهي .

و أمّا ثانياً ؛ فلأنّ التوحيد ، عبارة عن نفي الشرك في الذات ، و الكفو هو شريك في الصفات . و من ثمة قالت الفقهاء : «الكفاؤة بين المرء و زوجته شرط ،^٢ و إنّما عنوانها الاتحاد في الشرف و النسب و القبيلة الى غير ذلك من الصفات . و قد يمنعون تزويج العوام من السادات لا اعتقادهم أنّ غير السيد ليس كفواً للسيد . و الذي يظهر من الكتاب و السنة ، أنّه يكفي فيه مجرد الایجاد في الاسلام و الكلام فيه خارج عن المقام .

فقولهم : «و أمّا الواحدية بمعنى نفي الشريك» ، فإنما يستفاد من آخرها من قبيل أضغاث الأحلام كما لا يخفي على الأعلام .

و أمّا ثالثاً ؛ فلأنّ ما ذكره من أنّ «الله أحد» دليل سمعي على عدم قبول القسمة بأنحائها لا يتمّ به التقريب بناء على ما ذكره من فرض الكلام في واجب الوجود ؛ ضرورة أنّه ينفي القسمة المذكورة عن الفرد الذي هو «الله» لاعتنا الواجب الوجود مطلقاً ، فيجوز أن يكون سائر أفرادها ليس كذلك ، و هو ظاهر .

و أمّا رابعاً ؛ فلأنّه يجوز أن يكون لمفهوم واجب الوجود أفراد متباينة ، و كان هذا المفهوم عرضياً لأفراده ؛ إذ لم يثبت إلى الآن كون الوجوب ذاتياً ، و دون اثباته خرط القتاد . و لو كان ذاتياً للواجب الواحد ؛ فلا نسلم أنّه ذاتي للواجبين ؛ فعلى هذا عدم الكفو لله الذي هو فرد واحد من أفراد هذا المفهوم لا يدل على عدم الكفو لسائر الأفراد فيما ذكره أيضاً ، لا يتمّ به التقريب .

١ . مشرق الشمسین للبهائي العاملي ، ص ٣٩٥

٢ . جواهر الكلام ، ج ٣٠ ، ص ١٠٨



[في اشتقاق لفظ ﴿الله﴾]

ولنا في أن لفظ ﴿الله﴾ مشتق، أنه لا معنى للاشتقاق إلا أن ينتظم اللفظين المختلفين وزناً المتفقين تركيباً، معنى واحداً وقد انتظم لفظ «الله و إله» بالكسر بمعنى «تحير» مثلاً معنى واحد هو التحير؛ إذ العقول متحيرون في معرفة ذاته و صفاته و فيما يجوز و يمتنع . و من ثمة كثير الضلال في الأفكار و الخلل في الأنظار و انتشار الباطل في الخافقين و بسط الزيغ و الفساد على المشرقين و المغربيين حتى صار الحق و أهله عزيزاً كالكبريت الأحمر و ارتفعت رايات الجهل إلى أن غصبت الجهلة الحمقاء المحراب و المنبر من صاحبه في الصور .

و قيل : إنه مشتق من «ألهمت الى فلان» إذا أسكنت إليه ، لأن القلوب ، تطمئن بذكر «الله» ، و الأرواح تسكن بمعرفته .^١

و قيل : من «اله» إذا فزع من ملامّة و «إلهه غيره» إذا أجاره ، لأن العابد تضرع إليه تعالى و هو سبحانه يجيره .^٢

و قيل : من «اله الفصيل» إذا وله بأمه ، لأن العباد والهون بالتضرع إليه سبحانه في الشدائد .^٣
و قيل : من «وله» إذا تحير و تخبط عقله ، و كان أصل «الله» و لاه ، قلب الواو بالهمزة ، كما قلبت وجوه ، فقيل أجوه ، و في وشاح فصار أشاح .^٤

أقول : هذان القولان واحد ، و قد خبط البيضاوي^٥ في جعلهما قولين مع كمال مبالغته في اختصار الأقوال و حذف المكررات من القيل و القال ، و يرشدك إلى ما قلنا ، قول الواحدى قال ابوالهيثم الرازي : «الله» أصله إله ، و أصل إله ، و لاه ؛ قلبت الواو كما قالوا في وشاح أشاح ؛ وفي الوجاح أجاح . و معنى الولاه ، أن الخلق يولّهون إليه تعالى ، في حوائجهم و يتضرعون فيما ينويهم و يتضرعون إليه في كل ما يصيبهم كما يولّه الطفل إلى أمه فتامل .
قال الامام الرازي :

قال بعضهم : الاله هو المعبود و هو خطأ لوجهين :

١ . روح المعاني ، ج ١ ، ص ٥٦ ؛ الوجيز ، ج ١ ، ص ٤٩

٢ . نفس المصدر

٣ . نفس المصدر

٤ . نفس المصدر

٥ . تفسير بيضاوي ، ج ١ ، ص ٣٣

٦ . لسان العرب ، ج ١٣ ، ص ٤٦٧



الأول: أنه تعالى، كان إلها في الأزل و ليس معبوداً.
و الثاني: أنه تعالى أثبت وجود معبود سواه في القرآن، لقوله: ﴿إِنكُمْ وَمَاتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ (الأنبياء(٢١): ٩٨) انتهى كلامه ^١.

أقول: لا نزاع لأحد في أن العريب من أعقاب اسماعيل، و لا يكون قبل العرب لغة العرب و إن زعم شذمة قليلون إلى سبق ذلك اللغة؛ و معلوم أن كلاً من «اللّه وإله والحي والقيوم» إلى غير ذلك ممّا له سبحانه من الأسماء الحسنى و عبّر بالعربية ما كانت موجودة قبل العرب؛ سواء كان واضح اللغات هو اللّه سبحانه أو الخلق؛ بل لو عبّرت معاني تلك الألفاظ، لعبّرت بالعبرانية أو السريانية إلى غير ذلك من اللغات المتقدمة.
إذا تمهد هذا. فنقول:

إن أراد كونه تعالى في الأزل معبوداً، اطلاق اسم الإله العربيّ عليه سبحانه فيه، فذلك غير مسلّم؛ إذ لا عربيّ فيه. وإن أراد اطلاق ما يدلّ على ذلك المعنى عليه. فمسلّم و لانسلّم المحذور.

ثم إن المعبود أعم من أن يكون معبوداً بالحق أو الباطل و ما في القرآن من أن الناس يعبدون الأصنام أو العجل أو الشمس الى غير ذلك. فالمراد، العبادة بالباطل، فالمعبود الذي غيره تعالى معبود بالباطل دون الحق، فعلى هذا اندفع كلا الايرادين معاً، على أن لانسلّم أنه تعالى غير معبود في الأزل لما نطق به الحديث القدسي: «خلق الله الأرواح قبل الأجساد بألفي عام» ^٢.

و قال بعض المحققين: «ليس المراد بألفي عام خصوص العدد كما في قوله تعالى ﴿إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾ (التوبة(٩): ٨٢)، فيجوز أن يكون معبوداً لتلك الأرواح. و لو سلّم، فيجوز أن يكون معبوداً لنفسه كما في قوله ﷺ: «لا أحصى ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك» ^٣. و لو سلّم، فيجوز أن يكون معبوداً باعتبار أنه سيُعبد، كما قال: ﴿و نادى اصحاب الجنة﴾ (الأعراف(٧): ٤٤) و قال: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا﴾ (الفتح(٤٨): ١) وله نظائر كثيرة في القرآن و لا تغفل و كن على بصيرة من الأمر.

١. تفسير الرازي، ج٧، ص٧.

٢. الكافي، ج ١ ص ٤٣٨؛ معاني الأخبار، ص ١٠٨؛ بحار الأنوار، ج ٥٨، ص ٨٠.

٣. لم نطلع عليه من الكتاب الموجوده في أيدينا

٤. بحار الأنوار، ج ٦٨، ص ٢٣؛ مجمع البحرين، ج ١، ص ٥٢٨.

تكملة

[القول في عِلْمِيَّةِ اللَّهِ]

القائلون بأنه ليس بعلم قالوا أولاً: إن معنى الاشتقاق كما مرّ حاصل بين لفظ ﴿الله﴾ و بين الأصول المتقدمة^١.

أقول: هذا مبني على منع الجمع بين العِلْمِيَّةِ وبين الاشتقاق وهو توهم محض، ضرورة جريان الاشتقاق في الأعلام والأعيان، كما هو جار في الصفات والمعاني كقولهم استحجر واستنوق الجمل وتجوهر في الحجر والناقة والجوهر؛ بل قال بعضهم: باشتقاق كلِّ العلم حتى أن «زيداً» مشتق من الزيادة و«عمرواً» من العمارة، إلى غير ذلك وقالوا ثانياً: لو كان علماً، لما أفاد قوله تعالى: ﴿وهو الله في السموات والأرض﴾ معنى صحيحاً لاشعاره بالمكانيَّةِ تعالى عنها، بخلاف ما لو كان بمعنى المعبود وصفاً بمعنى المعبود بالحق^٢.

أقول: الأمور الثابتة الزمانية والمكانيَّة لا يختلف بالاضافة إلى الزمان والمكان؛ فإن «زيداً» كما كان «زيداً في البر» وهو أيضاً «زيد في البحر» و كما أنه «زيد في النهار» فهو «زيد في الليل» فضلاً عما ليس بشيءٍ منهما كخالق السموات والأرضين.

وقد كان أبو شاعر الديصاني من الزنادقة يقول عند المنازعة مع هشام بن حكيم: إن في القرآن آية معنا وهي قول عز من قائل: ﴿وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله﴾ (الزخرف (٤٣): ٨٤)، فأفحم هشام، فلما سأل في القابل الامام أبا عبد الله الصادق (عليه السلام) في الحج، قال (عليه السلام): إذا رجعت، فقل ما اسمك بالكوفة، فيقول لك فلان، فقل: ما اسمك بالبصرة، يقول فلان، فقل: كذلك «الله» ربنا في السماء إله وفي الأرض إله وفي البحار إله وفي القفار إله وفي كل مكان إله. فقال الزنديق: هذا ليس كلامك، ﴿الله يعلم حيث يجعل رسالته﴾ (الأنعام (٦): ١٢٤) على أنا نقول أيضاً: قد يلاحظ في الأعلام شائبة معنى الوصف تبعاً كما قالوا في أبي لهب وقد تقرر في محلّه.

قالوا ثالثاً: إن ذاته تعالى من حيث هي من غير ملاحظة أمر حقيقي أو اعتباري غير

١ . مشرق الشمسين، ص ٣٩٥

٢ . نفس المصدر

٣ . الكافي، ج ١، ص ١٢٨، باب الحركة والانتقال . وفي الكافي الرواية ناقصة ولا يوجد فيها «هذا ليس كلامك...»

معقولة للبشر .

و أجيب عنه : بأن غاية ما يلزم منه ، عدم تمكّن البشر من وضع العلم له تعالى لا ما هو المدعى ، من أن لا علم له مطلقاً . وقد تقرر أنّ أسماءه توقيفية ، فيجوز أن يضع هو تعالى علماً لنفسه .^١



و أنا أقول : كما أنّه قد يجعل المفهوم الكلي ، آلة لوضع اللفظ على المعنى الموضوع له الشخصي أو على المعنى الكلي ، و اشترط في المستعمل فيه ، أن يكون شخصياً كما في أسماء الاشارة الموصولات على اختلاف المشهور بين العلامة التفتازاني و الشريف الجرجاني^٢ فقد يجعل المفهوم الموهوم الجزئي المرّد بين هذا و ذلك على البدلية ، آلة لوضع اللفظ على المعنى الشخصي .

و إنّما قلنا على البدلية ، لئلا يعترض عليه ، بأن الجزئي الحقيقي لا يمكن أن يحتل الشركة ، فيقال : إنّّه لا يحتل مثل احتمال الكلي لا مطلقاً ، قالوا : إنّ البيضة المرئية لك أمس ربّما ترددت في اليوم هل هي بيضة مرئية في الأمس أم غيرها و أنّ الشبح المرئي من بعد كثير ، ربّما تردّد في أنّه حيوان أم لا ، ثمّ إنّّه فرس أم إنسان إلى غير ذلك .

و قريب من ذلك أنّ شخصاً لم يرا نيه فسمّاه باسم خاص ، فأنّه قد يجعل المفهوم المحتمل المررد بين الجزئيات على البدلية ، آلة لوضعه ذلك الاسم

واندفع عنه ما قال العلامة الدواني من أنّ ذلك الواضع إمّا أن يجعل الموضوع له المفهوم الكلي الصالح لجميع أفرادها التي من جملتها ذلك الفرد ، فحينئذ ليس بعلم ، أو المخيل الخاص ، فربّما كان المسمّى بذلك المخيل صورة أخرى ، فلم يكن مطابقاً بل كاذباً أو يجعل جميع الصور المتخيلة موضوعاً له ، فيكون لفظاً مشتركاً لا علماً ، فعليك بالتأمّل الصادق بعد التجريد عن العلايق .

و هاهنا أبحاث أخر أوردناها في تفسير الفاتحة ، فمن أراد الاطلاع على ذلك فليرجع إلى هنا لك .

١ . مشرق الشمسين ، ص ٣٩٦ ؛ تفسير البيضاوي ، ج ١ ، ص ٨

٢ . المطول ، ص ٩٢



تتمة

[في تقدم لفظ ﴿الله﴾]

قد تقدم معنى قوله تعالى : ﴿الله لا إله إلا هو﴾ مع ما يتعلق بذلك ، لكن بقي الكلام في أنه لم يجرى على النهج المشهور المذكور على الألسن أعني ﴿لا إله إلا الله﴾ فقدّم لفظ الجلالة ، فيلزم منه ما كان الآن أعني : ﴿الله لا إله إلا هو﴾ ولم يتعرض لذلك إلى الآن أحد .

و أنا أقول : لما كان التكليف أمراً شاقاً و لا سيّما التوحيد لا يطابق الطبيعة البشرية و لا يوافق الحقيقة الجبلية الإنسانية ، قدّم لفظ ﴿الله﴾ لينعكس منه لمعة إلى قلب الموحّد ، فيشرح صدره و يتنور بدره ، فيتهدي إلى الهدى و يتشجّع قلبه و يتقوى باطنه ، فيخرج بذلك عن عهدة التكليف . ألا ترى إلى قوله عزّ من قائل : ﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات﴾ (الأحزاب (٣٣) : ٧٢) فتأمل .

و أمّا السرّ في تعرّض هذا النوع من التوحيد التام في هذا المقام ، و هذا ممّا أيضاً لم يتعرّض له أحد ممّن سبقنا ، و لما كانت الأمور مرهونة بأوقاتها ، فهو سبحانه قد وقّت استخراج تلك الدقائق و استنباط هذه الأنواع من الحقائق بزمان من هو أفقر الفقراء ، و ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، فهو إنّهُ لما تبيّن من أوّل السورة إلى هنا أنواع من الاختلافات و التغيّرات و الانتقالات و لاسيما اختلافات الأنبياء خلقة و نبوة و معجزة ترقيا من حضيض الخفاء الى أوج الظهور ، و انتقالاً من ضعف أحوالهم إلى اتمام أمرهم و قوتهم و الى غير ذلك ، صار المقام مظنة أن يظن أن الألوهية هل هي أيضاً مختلف مثل النبوة فحصلت بعد ما لم تكن تحصل ، ثمّ يترقى يوماً فيوماً من مرتبة أدنى إلى أوسط ، ثمّ منه الى الغاية القصوى ، فقال عزّ من قائل دفعاً لهذا التوهّم : ﴿الله لا إله إلا هو﴾ . و سيظهر أن الجمل الاثنتي عشرة ، متعاقبة متناسقة واقعة بعضها في حجرة بعض إن شاء الله .

و أمّا وجه الفصل عمّا تقدم ، فقد علم منه فإنّ الجملة الاستينافية ، لا تعطف على ما استونف عنه .

و قد قيل : إنّ ما سبق لما كان انشاءً و هذا إخبار ، فلم يمكن الوصل والعطف عليه ، فتأمل .

و أمّا سبب نزولها ، فهو متحد مع سبب نزول سورة الاخلاص على ما فضلنا هناك .

﴿الحى القيوم﴾

لَمَّا كَانَ لَفْظُ ﴿اللَّهُ﴾ دَالًّا عَلَى جَمِيعِ الصِّفَاتِ الْكِمَالِيَّةِ، وَمِنْ تِلْكَ الصِّفَاتِ مَا هُوَ أَقْرَبُ إِلَى الذَّاتِ إِنَّمَا هُوَ الْحَيَاةُ، إِذْ مَا مِنْ كِمَالٍ إِلَّا وَهُوَ يَتَوَقَّفُ عَلَيْهَا، لِأَنَّ الْكِمَالَاتِ كُلَّهَا تَابِعَةٌ لِلتَّأثيرِ وَهُوَ يَتَوَقَّفُ عَلَى الْحَيَاةِ، لِأَنَّ الْفَاعِلَ مَخْتَارًا عَلَى مَا هُوَ الْحَقُّ، أَوْ لِأَنَّ كُلَّ الصِّفَاتِ يَتَوَقَّفُ عَلَى الْقُدْرَةِ وَهُوَ يَتَوَقَّفُ عَلَى الْحَيَاةِ، فَلِذَلِكَ خَصَّ بِذِكْرِ «الْحَيِّ»، ثُمَّ ذَكَرَ «الْقَيُومَ»؛ لِأَنَّهُ أَعْظَمُ الْأَسْمَاءِ بَعْدَ الْأَسْمِينَ، بَلْ قَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ هُوَ الْأَسْمُ الْأَعْظَمُ. ^١ وَأَيْضًا الْقِيَامُ بِتَدْبِيرِ الْخَلْقِ أَقْرَبُ إِلَى الْخَالِقِ مِنْ سَائِرِ أوصافه

ثُمَّ إِنَّ الْمُتَكَلِّمِينَ قَدْ عَرَفُوا «الْحَيَّ» بِالَّذِي يَصِحُّ أَنْ يَعْلَمَ وَيَقْدِرَ أَوْ بِالَّذِي لَا يَسْتَحِيلُ أَنْ يَقْدِرَ وَيَعْلَمَ. ^٢ قَالَ الْعَلَامَةُ التَّفْتَازَانِي فِي صَدَقَ هَذَا التَّعْرِيفُ عَلَى غَيْرِ ذَوِي الْعِلْمِ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ نَظْرًا.

أَقُولُ: الظَّاهِرُ أَنَّ الْعِلْمَ عَلَى الْإِصْطِلَاحِ الْمَشْهُورِ وَهُوَ الْحَمْلُ عَلَى الْإِدْرَاكِ مَطْلَقًا سِوَا مَا كَانَ إِحْسَاسًا أَوْ تَخْيِيلًا أَوْ تَوْهَمًا أَوْ تَعْقُلًا، يَصْدُقُ عَلَى تِلْكَ الْحَيَوَانَاتِ وَلَهُمْ حَرَكَاتٌ، أَرَادِيَّةٌ مُنْبَعَثَةٌ عَنِ الشَّوْقِ، فَلَا مَجَالَ لِلنَّظَرِ أَصْلًا. قَالَتِ الْحَكَمَاءُ: الْحَيَاةُ مَشْرُوطَةٌ بِاعْتِدَالِ الْمَزَاجِ النَّوْعِيِّ وَالْبِنْيَةِ وَالرُّوحِ الْحَيَوَانِيِّ ^٣ وَلَكِنْ ذَلِكَ فِي الشَّاهِدِ بِنَاءً عَلَى مَا رَأَيْنَا مِنْ زَوَالِ الْحَيَاةِ بِانْتِقَاضِ الْبِنْيَةِ وَتَفَرُّقِهَا. وَقَالَتِ الْأَشَاعِرَةُ وَأَكْثَرُ الْمُتَكَلِّمِينَ: بِعَدَمِ اشْتِرَاطِ شَيْءٍ مِمَّا ذَكَرُوا. وَقَالُوا: إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ أَنْ يَخْلُقَ الْحَيَاةَ فِي الْبَسَائِطِ.

قَالَ الْإِمَامُ الرَّازِي فِي تَفْسِيرِهِ الْكَبِيرِ عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ (الزَّلْزَلَةُ: ٤٩). إِنَّ الْأَرْضَ لَا حَاجَةَ لَهَا إِلَى الرُّوحِ، فَيُمْكِنُ أَنْ تُحَدِّثَ، إِذْ الْعِلْمُ لَا يَتَوَقَّفُ عَلَى الْبِنْيَةِ، فَذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى رَدِّ الْفَلَسَفَةِ الْقَائِلِينَ بِكَوْنِ الْحَيَاةِ مَشْرُوطَةً بِالْبِنْيَةِ. ^٤

وَأَنَا أَقُولُ: تُحَدِّثُ الْأَرْضُ يَوْمَئِذٍ مِنْ قَبِيلِ الْخَارِقِ الْعَادَاتِ، كَالْكَلَامِ الصَّادِرِ عَنِ أَيْدِينَا وَأَرْجَلِنَا كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ فِي سُورَةِ يَس: ﴿أَلْيَوْمَ نَخْتُمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ﴾ (يس: ٣٦: ٦٥) وَأَمْثَالُ ذَلِكَ خَارِجٌ عَنِ الْمُبْحَثِ.

١. روح المعاني، ج ٣، ص ٨

٢. روح المعاني، ج ٣، ص ٧

٣. الحكمة المتعالية، ص ٤٨؛ بحار الأنوار، ج ٥، ص ٢٧١

٤. تفسير الرازي، ج ٣٢، ص ٥٩





و المراد بالحَيِّ هاهنا الباقي الذي لا يحوم حوله الفناء و لا يدور حومه الحد و الانتها،
صفة مشبهة أصله حياة، قلبت الواو ياء، ثم أدغمت الياء في الياء .

و أمّا «القيوم»، فأصله قيوم و بعد القلب و الادغام، صار قيوماً على وزن فيعول للمبالغة،
و معناه على ما في الكشاف، الدائم القيام بتدبير الخلق و حفظه .^١ و قيل : معناه العالم
بالأمور من قولهم، فلان يقوم بهذا الكتاب أي يعلم ما فيه .^٢ و نقل عن سعيد بن جبير و
الضحاك، أن معناه الدائم الوجود .^٣ و عن الحسن و الكلبي : القائم على كل نفس بما
كسبت حتى يحازيها .^٤ و هذا قريب من معنى العلم كما مرّ .

و قال الراغب الاصفهاني : يقال : قام كذا أي دام و قام بكذا، أي حفظه، و القيوم القائم
الحافظ لكل شيء و المعطي له ما به قوامه و ذلك هو المعنى المذكور في قوله تعالى :
﴿الذی أعطی کل شیء خلقه ثم هدی﴾ (طه: ٥٠) و في قوله : ﴿أفمن هو قائم على كل
نفس بما كسبت﴾ (الرعد: ١٣: ٣٣) .^٥

و قال بعضهم : معناه العالم بذاته المقوم لغيره .^٦
و اعترض على هذا المعنى العلامة الدواني أن المبالغة في اللازم، لا يوجب التعدي،
فكيف يصير مقوماً لغيره .

و هذا الاعتراض قد أورده بعضهم على تعريف الطهور، بأنه ظاهر في نفسه مطهر
لغيره .^٧

و أنا أقول : لانسلم أن المبالغة في اللازم، لا يوجب التعدي، فإن المبالغة فيه كما في
قولنا : «ذهب زيد» إما في الكيفية أعني الشدة بعد الضعف في الحركة و السير، و إما في
الكمية و لا معنى لها إلا جعل فعل الذهاب الذي كان في الأصل لازماً كثيراً بعد ما نقلناه
الى باب التفعيل الذي هوللتكثير غالباً و حينئذ لا يبقى اللازم الأول بحاله .

و بالجملة لا معنى للمبالغة في الفعل اللازم، إلا نقله الى باب التفعيل الذي كان موضوعاً

١ . الكشاف، ج ١، ص ٣٠٠

٢ . مجمع البيان، ج ٢، ص ٣٢٦

٣ . نفس المصدر

٤ . نفس المصدر

٥ . مفردات الراغب، ص ٤١٧

٦ . تفسير الرازي، ج ٧، ص ٤٥ و ٤٥؛ روح المعاني، ج ٣، ص ٨

٧ . تفسير القرطبي، ج ١٣، ص ٣٩



للتكثير و المبالغة أو الى باب يؤدّي معنى التفعيل أو إلى شىء يوادي ذلك الموادي كالباب . و هذا اصطلاح مشهور في علم التصريف ، فعلى هذا ، اندفع الاعتراضان على التعريفين و لا حاجة إلى ما ارتكبه من التكلّفات و التعسفات المبنية على عدم الاطلاع على الاصطلاح . و قال أيضاً يرد على تفسيره بالقائم بذاته أنه حينئذ يكون معنى ما أورد في الأدعية النبويّة : «أنت قيمّ السماوات و الأرض ، أنت واجب السماوات و الأرض»^١ و أقول : ليت شعري من أين يلزم هذا المعنى ، فإن كان بناء على أنّ القيام بالذات يستلزم الوجوب الذاتي كما يفهم من كلامه هناك ، فمعلوم أنّ الاطلاق الملزوم على الشىء و استعماله فيه لا يوجبه صحة اطلاق اللازم و استعماله هناك ، فإن أسماء الله توقيفية ، وكانت الألفاظ لها اصطلاحات متخالفة ، و متممات متباينة و إن كانت متعادية .

ثم إن هذا الاستلام إن تمّ فإنما هو بحسب الخارج لا بحسب المفهوم ، على أنّا نقول : الاضافة هناك بمعنى في ، فيكون المعنى أنت قيمّ في السماوات و الأرض أو واجب فيهما ، كما في قوله تعالى : ﴿و هو الله في السماوات و الأرض﴾ (الأنعام : ٦) و قوله : ﴿في السماء إله و في الأرض إله﴾ (الزخرف : ٤٣) : ٨٤ . و أمثال ذلك الايرادات الباردة عن مثله غريب جداً . و قال ابن المجاهد : «القيوم هو القائم على كل شىء» .^٢ و قيل : هو القائم بالأمر .^٣ و قال أبو عبيدة : الذي لا يزول .^٤ و لا يخفي أنّ المعاني المنقولة أكثرها متقاربة و يحتمل المقام الحمل على الكلّ مجموعاً و مثنيّ و مفرداً كما لا يخفي على أولي النهى

[القول في ﴿لا تأخذه سنة ولا نوم﴾]

لا يخفي أنّ ذكر هذه الجملة بعد قوله : «حيّ قيوم» من باب التقرير و التأكيد و أنّه تصريح بما علم التزاماً أو تضمناً أو عقلاً ضرورة أنّ من كان دائم القيام بتدبير الخلق و حفظه و لا يغفل عنه لمحة أصلاً و يجب أن لا ينوبه نوم تعطلّ به الحواس و لا مقدمته أي سنة ، إذ هما متلازمان غالباً و لكن لما كان حياً و كلّ حيّ في الشاهد يصح منه سنة و نوم و كانت طبائع الناس مألوفة فيما شاهد و أمن تطرق الكسل و السنة و النوم على ما كان حياً ذكره أراحة

١ . مسند أحمد ، ج ١ ، ص ٣٥٨

٢ . تفسير مجاهد ، ج ١ ، ص ١٢١

٣ . تفسير البغوي ، ج ١ ، ص ٣١٣

٤ . روض الجنان لأبوالفتح الرازي ، ج ١ ، ص ٤٤١ ، طبع مكتبة آية الله مرعشي .



للأوهام الخاسرة وتأكيداً وتثبيتاً لأمر الحفظ والدوام عليه، فذلك يفيد بالنسبة إلى الأذهان السافلة تلك الازالة والاراحة والنظر إلى الخواص التفصيل والبرهان ليصير المعلوم كالعيان. وروي أن موسى عليه السلام سأل الملائكة أينام ربنا، فأوحى الله اليهم أن يوقظوه ثلاثاً ولا يتركوه ينام، ثم قال: خذ بيدك قارورتين مملوتين فأخذهما، وألقى الله عليه النوم، فضرب أحدهما على الأخرى فانكسرتا، ثم قال: إني أمسك السموات والأرض بقدرتي فلو أخذني نوم أو نعاس لزالتا.^١

ثم إنه قد يقدم أن الجملة خبر مبتدأ محذوف، ويقول: هذا يحتمل الحالية أيضاً، فيكون موكدة؛ لأن المحققين على أن الحال المؤكدة لا يختص باسمية الجملة. و اعلم أنه من أراد أن يتخلق بأخلاق الله، ويدعى أنه من أهل الله، فلا بد وأن يترك النوم. ولما كان الأغذية موجبات السنة والنوم، فتحقق النوم لا يحصل إلا بتخفيف الأغذية. ولأن فساد النوم إنما هو لأجل افساده النائم عن الذكر، وإيرائه الغفلة؛ فكلما يوجب الغفلة عنه سبحانه، ويكون حاجزاً بينه وبين المطلوب الحقيقي، أعني الحضور في عرصة كبرياء الحق تعالى كاشتغال في الدنيا والانهماك في تحصيل المال والسعي في التقرب إلى سلاطين الجور وظفر على من بيده الدنيا، فقد كان كالنوم مانعاً عن المقصد الأصلي و سيورث ذلك مانسبت إلى الطبع والرین والحتم ونحوه فما ربحت تجارته وظهرت خسارته.

تنبيه

[علة تقدم السنة على النوم]

قالوا: المتعارف في المقامات المنفية، أن يقدم الأعلى على الأدنى، فيقال: فلان بخيل لا يعطي دينارا ولا درهما؛ و فلان جاهل لا يعلم النظريات ولا البديهيات، فالمناسب في الآية تقديم النوم على السنة و أجابوا بأنه روعي في الآية الوقوع، فإنه تتطرق السنة أولاً ثم النوم. فنفي على ما عرض.

و أنا أقول: لا يكون المتعارف كما قالوا دائماً وفي كل شيء، بل المقامات متفاوتة، فربما اقتضى المقام الترقى في النفي من الأدنى إلى الأعلى، وقد ينعكس الأمر، فيقال: فلان بطل لا يقال له «زيد الشجاع» ولا رستم أو عاجز لا يقدر على حمل من ولا على نصفه حسبما اقتضاه.

١. الكشاف، ج ١، ص ٣٠٠.

٢. في النسخة: كون، ولكن الصحيح لا يكون.



و هاهنا لما كان مقام عرض العظمة و الجلال و اظهار الغلبة و القدرة على الكمال فالمناسب هاهنا تقديم الأدنى على الأعلى كأنه تعالى قال سرادقات جلالى أجل من أن يتطرق عليها مقدّمة النوم فضلاً عن النوم نفسه . و البلاغة مطابقة الكلام لمقتضى الحال . و بالجملة الأخذ لفظ ، يشعر بنحو تأثير الأخذ في المآخوذ منه ، فنفي أولاً المؤثر في الجملة ، ثم ما في غاية القوة . و لا يخفي أن كلا من السنة و النوم ، أمران ظاهران لكل أحد بحسب المتعارف ، فلهما غنية عن التدقيق في التعريف .

و أمّا القول بأن السنة نوم خفيف ، كما قال بعضهم^١ أولاً ، بل مقلّمة النوم كما قال بعض آخر^٢ ، أو السنة في الرأس و النوم في القلب ، فالسنة إذن النوم و هو نعاس كما قالت طائفة^٣ أو السنة في الراس و النعاس في العين و النوم في القلب و هو غشية ثقيلة ، تقع على القلب تمنع المعرفة بالأشياء كما قالت أخرى إلى غير ذلك من الأقوال فمما لا خير في شيء من ذلك و الأمر في أمثال ذلك هيّن جداً .

ثم أقول : يمكن أن يكون هذا القول جواباً عمّن سأل بقوله هل تأخذه سنة أم نوم ، فقال سبحانه : ﴿ لا تأخذه سنة و لا نوم ﴾ أو سأل بقوله : هل تأخذه سنة و أجاب أن لا تأخذه هذا و لا ما هو أقوى منها . فليتأمل .

﴿ له ما في السموات و ما في الأرض ﴾

بعد ما أثبت التفرد بالوحدة و الدوام و التوحد بتدبير الخلق و حفظه و القيام بمصالحه بحيث لا يتطرق على سرادقات عظمتة شائبة الملال و لا يتوجه على سلطانه الشامخ و برهانه البازخ تغييراً و زوالاً أثبت له تعالى المالكية الدائمة ، بل الملكية المستمرة بالنسبة إلى ما سواه مطلقاً تقريراً للأمر و احتجاجاً على كلا المطلبين ، فقال له : أي مختص بالله تعالى مالكية ما في السموات و ما في الأرض و ملكيتها أيضاً ، فأنهما متلازمان هاهنا ؛ فثبت لما سواه ذلّ العبودية و خضوع الرقية ، فالكل متوجهون نحو بابه يترصدون الفيض بقدر الاستعداد من جنبه و يمجّدونه و يقدّسونه على اختلاف المحال و يسبّحونه بلسان القول أو الحال : ﴿ و إن من شيء إلا يسبح بحمده و لكن لا تفقهون تسبيحهم ﴾ (الأسراء: ١٧) : (٤٤)

١ . مجمع البيان ، ج ١ ، ص ٣٦١

٢ . تفسير الرازي ، ج ٧ ، ص ٩

٣ . جامع البيان ، ج ٣ ، ص ١١



وإنما اختار كلمة «ما» على «من»؛ لأنّ العقلاء في مجموع السموات و الأرض أقلّ من غيرهم، فذلك من باب التغليب كذا قيل^١.
وقيل المراد بما في السموات الأمطار، و ما في الأرض النجم و الشجر، أو المراد بالأوّل الجنة و بالثاني النار^٢.
و أقول: لمّا كان المقام مقام عرض عظمة الملك و الملكوت و اظهار الجلال و الجبروت صار العقلاء من الممكنات في ذلك المقام في غاية تطرّق الخوف، و تعرض الدهشة و الرعدة كغيرهم، فلذلك عبّر عن الكلّ بلفظ «ما». قال الامام الرازي: في ذلك دلالة على عدم وجود العقل وإلا لكان الأنسب ذكره لكونه أشرف. أقول: و الشرطيّة ممنوعة، فالسند ظاهر على أنّا لانسلم بطلان التالي، فإنّ الظرفية المجازية كافية، فتأمل.

تبصره: قال البيضاوي: «والمراد بما فيهما ما وجد فيهما داخلاً في حقيقتيهما أو خارجاً عنهما متمكناً فيهما، فهو أبلغ من قوله: ﴿له ما في السموات والأرض وما فيهن﴾
أقول: إن كان الأبلغ بمعنى أكثر مبالغة أو أشد في احاطة الأشياء وشمولها ولو بوجه ما.

فتقول: القول الثاني، يشمل ثلاثة أشياء، نفس السموات و الأرض، وأجزائيهما، و ما كان خارجاً عنهما متمكناً فيهما.

و أمّا القول الأوّل: فيشتمل على الأثنين لخروج نفس السموات و الأرض، ضرورة أنّ السموات ليست ما في السموات لا متناع كون الشيء ظرفاً لنفسه و كذا الأرض. اللهم إلا أن يفسر ما في السموات مثلاً بما ليس بخارج منها، فيشتمل نفسها أيضاً فيقال عليه. فهذا يحتاج الى التكلّف و ذلك لا يحتاج فأين الأبلغية.

لا يقال: الأبلغية باعتبار تكرار لفظ «ما» الموضوع للعموم.

لأنّ نقول: أولاً: إنّه مشترك بين الصورتين لوجود لفظ «ما» فيهما.

و ثانياً: فعلى هذا المعنى التفرّيع حيث قال فهو أبلغ إن كان بمعنى أكثر بلاغة أو أشدّ، فبعد مساعدة اللفظ و مجيء أبلغ بهذا المعنى لانسلم ذلك كيف! و مقام عرض العظمة يأبى عن ذلك حيث يخرج نفس السموات و الارض فلا تغفل.

١. تفسير الرازي، ج ٧، ص ٩

٢. تفسير البيضاوي، ج ١، ص ٥٥٨

و على أن لنا أن نفسر قوله: و من فيهن في الثاني بما ليس بخارج منهن، فانعكس الأمر في الأبلغية كما لا يخفي على ذوي النهى ولو حمل الأبلغ على معنى الأخص مع الاشتراك في المعنى لمنعنا الاشتراك فيه ضرورة احتياجه إلى التأويل على أن صحته كلاماً للزوم الجمع بين الحقيقة و المجاز كما قال بعضهم .

و قال بعضهم، الأبلغية أنه يلزم حينئذ كون السموات و الأرض له تعالى بطريق البرهان، لكن الجزئية و الظرفية بقوله: «فيهما» جمع بين الحقيقة و المجاز انتهى .

الظاهر أن ذلك الطريق كما صرح به بعضهم أيضاً هو أنه إذا صدق أن له كل جزء من أجزاء السموات التي مثلاً فيها يلزم أن يصدق أن يكون له السموات أيضاً و هي فيها و هو المراد من المجاز، لأن الكل ليس إلّا مجموع الأجزاء .

أقول: لا نسلم أن ليس الكل إلّا مجموع الأجزاء إن أراد الأجزاء المادية فقط، و إن أراد الجزء الصوري أيضاً .

فنقول تارة: لا نسلم وجود ذلك الكل، إذ الهيئة الاجتماعية أمر عقلي و المجموع من الموجود و المعدوم معدوم و إن أراد الكل الأحادي، فلانسلم أنه غير الأحاد، و دون اثباته خرب القتاد .

و [تارة] أخرى: أنه يجوز أن يكون لكل حالة لم يكن تلك الحالة للأجزاء فإن لكل جزء من الأجزاء المفروضة للرحى حركة انبثته و ليس لكل أي الرحي ذلك و استوضح ذلك في الفلك

ثم أقول: ربّما كان الغرض الأصلي من الكلام إنما هو المظروف وحده لا الظروف، فعلى هذا اختصاص المظروف شيء يقتضى اختصاص الظرف أيضاً إمّا بالطريق الأولى و هاهنا كذلك، و إمّا العكس . و ما تساوى فيه الأمران فلا؛ فعليك بالتأمل الصادق بعد التجرد عن العلائق و لاتغفل وكن على بصيرة من الأمر .

﴿من ذا الذي يشفع عنده إلّا بإذنه﴾

ولمّا قرّر أن العظمة المطلقة و الجلال المطلق، إنّما يليق بكبرياء شأنه و عزّ سلطانه، وأنّ مالک الأملاك و ملك ما في عالم العناصر و الأفلاك، إنّما هو سبحانه، بين هاهنا أن لا مؤثر في عالم الملك و الملكوت إلّا من له العظمة و الجبروت، فنفي عن غيره مطلقاً أو





عَمَّن يظنَّ أنَّ لهم قرباً و عظمة ما عنده سبحانه و أدنى ما يتصور من التأثير و هو الشفاعة و الاستكانة ، ليلزم منه نفي ما هو الأعلى بل جميع مراتب التأثيرات بالطريق الأولى كما تقدّم منّا مفصلاً و لذلك لم يعطف هاهنا أيضاً .

تنبيه

[لا يختص الشفاعة بالآخرة]

المستفاد من كلام المفسرين تصريحاتهم و تلويحاتهم أنّ هذه الشفاعة ، مختصة بالدار الآخرة و ممّن صرح به العلامة في الكشاف^١ و شيخنا الطبرسي في مجمع البيان^٢ . و أقول : ليس لنا ضرورة داعية الى التخصيص . و موافقة بعض الآيات في سائر المواضع كقوله : ﴿ لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن ﴾ (النبا: ٧٨) : ٣٨ لا يوجب ذلك ، فنحن نجعل الشفاعة الواقعة هاهنا في ذلك المقام عاماً و كيف لا ، و قد جعلوا كلّهم حتى صاحب الكشاف نفي الشفاعة دليلاً لقوله تعالى : ﴿ له ما في السموات و ما في الأرض ﴾ و اثباتاً لما تضمّنه و تثبيتاً و تقريراً له و هو كذلك بالنسبة الى ما سبقه و هو أيضاً كذلك مثل ذلك على الأول و تركوا موافقة أجزاء هذه الآية و كون كلّ لاحق مقررّاً لكلّ سابق و راعوا موافقة آية أخرى في موضع آخر ، و ذلك عجيب منهم ، ولعلّهم غفلوا عن ذلك ؛ و نظروا إلى مجرد لفظ الشفاعة .

وبالجملة الغرض الالهي اثبات وحدة الفعل له تعالى ، و أنّ لا فاعل في العالم إلا الله ، ثمّ إنّنا نرى كثيراً من الناس يشفعون بعضهم عند سلاطين الدنيا و لم يقبل تارة و يقبل أخرى ؛ فهذا دليل على أنّ الشفاعة ، إنّما هي بإذنه سبحانه ، فليتأمل .

[الشفاعة من مرتبة المحمودة]

قيل : إنّ الاستثناء اشارة إلى المرتبة المحمودة ، التي قال عزّ وجلّ : ﴿ عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً ﴾ (الأسراء: ١٧) : ٧٩ وهو مقام الشفاعة له ﷺ على ما هو الحق و حيث كان من يقوم مقامه من الائمة ﷺ بمنزلته ﷺ ، فالظاهر أنّها ثابتة لهم أيضاً .^٣

١ . الكشاف ، ج ١ ، ص ٣٠١

٢ . مجمع البيان ، ج ٢ ، ص ٣٦٢

٣ . تفسير عياشي ، ج ٢ ، ص ٣٢٧

وقيل: بعمومها لجميع الأنبياء والأولياء والشهداء والطاهرون الأطفال للآباء كذلك كما نطق به بعض الأخبار.

ثم قيل إن قوله تعالى: ﴿من ذا الذي﴾ ردّ على كفّار القریش حيث قالوا: إن أصنامنا يشفعون لنا عند الله.

ولا يخفي ما فيه، ثم إن الأصنام يشتكون عمّن عبدها كما قال عز وجل: ﴿إذ تبرء الذين اتبعوا﴾ (البقرة: ٢) : (١٦٦).



[الشفاعة يتوقف على العلم]

﴿يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم﴾، ولما نفي كون الفاعل إلّا إياه، فقد انتفي الشفاعة عمّا سواه، أراد أن يجعل عدم لياقة أحد غيره الشفاعة، مبرهنًا ومستدلًا على عينه، فنفي العلم بجميع أحوال هؤلاء عن غيره تعالى، كأنه يقول: الشفاعة من أحد لأحد يتوقف على علم الشافع بجميع أحوال المشفوع له، بجواز أن يكون هناك أمر خفي مانع عن الشفاعة له، كما قد يتفق لنا في بعض الأوقات في بعض الناس والعالم بجميع أحواله إنّما هو الله سبحانه، فالشفاعة إنّما هي له.

ثمّ المعنى أنّه تعالى يعلم ما قبلهم وما بعدهم أو بالعكس، لأنك مستقبل المستقبل و مستدبر الماضي أو أمور الدنيا والآخرة أو عكسه أو ما تحسّونه و تغفلونه أو ماتركونه و ما لا تدركونه أو ماتحضرونه و ماتغيّبونه أو ما تفعلون و ما تتركونه.

قيل: أو تعرف الحكمة في إيجادهم و في خاتمة أمرهم من المعاد. و لا يخفي ما فيه. و قيل: إنّ تعريف الأصنام التي كانت الكفار يعتقدون شفاعتها، فإنّها لا تعلم ممّا ذكر من أحوال الأشياء بل لا يعلم أنفسها فضلًا عن غيرها و هو كما ترى.

و الضمير لما في السموات و الأرض من العقلا أو لما دلّ عليه من ذا من الملائكة و النبيين كذا قالوا. و أنا أقول: الشفاعة، يستلزم المشفّع و المشفّع له و هو ظاهر، فالضميران للشفعاء كما أنّ ضمير الفاعل في قوله تعالى: ﴿و لا يحيطون بشيء من علمه﴾ أي علم من أريد الشفاعة لهم، أو المراد بعلمه ما في ضميره تجوزًا و ضمير «علمه» للمشفوع له الذي لأجله الشفاعة، أي الله سبحانه يعلم بحال هؤلاء الشفعاء، فلذلك جعلهم مأذونين للشفاعة، أو يعلم أنّهم لا يقدمون على الشفاعة ليجيرهم في أنفسهم عمّا نصرهم، و المعنى



أنّ الشفعاء لا يحيطون بشيء مما في ضمير المشفوع له؛ فلعلّ ما في ضميره أمر يمنع عن الشفاعة له و لفظ «يحيطون» على ما قلنا في موضعه الحقيقي . و أمّا على ما ذكره القوم، فهو بظاهره لم يقع بموقعه، و تاويل العلم بما في الضمير كما قلنا، ليس بأبعد من تاويله بالمعلوم كما قالوا؛ على أنّي أقول: يلزم عليهم بناءً على تفسيرهم، سلب الشيء عن نفسه . هكذا كلّ معلوم الخلق معلوم الله، و لا شيء من معلوم الله معلوم الخلق هذا خلف .

أمّا الصغرى فينته . و أمّا الكبرى فلقوله تعالى: ﴿و لا يحيطون بشيء من علمه﴾ أي معلومه على ما فسّروه فلا تغفل عن ذلك و هو الله تعالى يرشدك الى خير المسالك .

ثمّ التنكير في «شيء» بل التنوين فيه للتقليل و التحقير و لفظ العلم لكونه جنساً مضافاً يفيد العموم .

قيل: إنّه ردّ على من اعتقد شفاعة الملائكة من طائفة من العرب حيث قالوا: إنّ لهؤلاء شعوراً تاماً على المغيبات و لهم اطلاع على الأشياء كلّها، فهم هم الشفعاء، فردّ الله عليهم بنفى العلم عليهم بشيء من معلوماته سبحانه إلّا ما شاء الله أن يطلعها عليه كما أنّه إذا شاء إطلع الأنبياء على ذلك . إذا اقتضته المصلحة و أنت خبير بما فيه .

﴿وسع كرسيه السموات و الأرض﴾

لما أثبت التفرد في التوحيدات الثلاث على أكمل وجه و أتمّ نظام و انتهى الكلام الى العلم، و كونه سبحانه عالماً بما في الملك و الملكوت مع كونه في غاية العظمة و الكبرياء و الجبروت، أراد أن يوكدّ كون العلم مع ما استتبعه على هذا النهج القويم و الطريق المستقيم ليصير عياناً بالبرهان، بعد ما كان ظاهراً في الأذهان، فقال: وسع مخلوق من مخلوقاته بحيث يسع السموات السبع و الأرضين السبع، لأنّ السموات سبع في استعمالات القرآن، و كذا الأرضين في الأخبار و الآثار عن الأنبياء . و قد تقرّر عندهم أنّ القرآن يفسّر بعضه بعضاً، و إذا كان مخلوق منه غزارة بحره وسعة احاطة . بلغ تلك الغاية العظمى وهذه النهاية القصوى، فما ظنك به سبحانه، و هذا بناء على أنّ الكرسي فلك البروج، و هو الفلك الثامن الموضوع لمكان الثوابت، و من ثمّ يقال له: فلك الثوابت أيضاً .

و أقول: ليس في الشرع ما يدلّ على كون الأفلاك، غير ذوات العلوم؛ بل ربّما يدلّ بعض القرآن على علمهم، فعلى هذا معنى الآية أنّ مخلوقاً من مخلوقاته سعة علمه أحاطت



بالسموات و الأرض فما ظنك بخالقه، و هذا أنسب في هذا المقام . ألا ترى أن كثيراً من المفسرين فسروه بالعلم . و قد نقل أن الشيخ الرئيس أبا علي بن سينا منهم في الرسالة له في تفسيراته آية الكرسي و إن لم أره إلى الآن قالوا : كان المتعارف وضع الكرسي للعلماء في مجالس . و من ثمة يقال للعلماء : كراسي ، يقال : أوتاد الأرض قيل : لأن بهم قوام الدين و الدنيا و لعل هذا أيضاً في الزمان السابق و إلّا فالتقوامين الآن بالجهال و إن علماء هذا الزمان أكثرهم سرحان جوعان ؛ قد فتحوا فاهم لتبتلعوا ما آتاهم ، فلا تغفل و كن على بصيرة من ذلك الأحوال .

نعم لو أريد بالعلماء الأئمة المعصومون عليهم السلام ، لكان الأمر كما قالوا بل فوق ذلك . و في كتاب الكافي للشيخ الكليني رواية في كون العلما في كتاب الله أينما كان ؛ فالمراد الأئمة - صلوات الله عليهم -^١ ، فلو كان لفظ العلماء لا يمكن ذلك و ليس فليس .

[المراد من الكرسي]

و اعلم أنهم قد اختلفوا في الكرسي و قد تقدّم الإثنان مع ما سنح لنا . و الرابع : أن الكرسي هاهنا هو العرش و إنما سمّي كرسيّاً لتركّب بعضه على بعض و هذا منقول عن الحسن البصري .

و الخامس : أن المراد به هاهنا ملك و السلطان و القدرة الكاملة ، كما يقال : اجعل لهذا الحائط كرسيّاً أي عماداً يعمد به حتى لا يقع و لا يميل .^٢

تنبيه : كون الكرسي فلك البروج ممّا أطبق عليه أكثرهم ، فإن العلماء الرياضيين كلهم حملوه عليه و لا خلاف بينهم و قد ورد من طريق الشرع عن النبي صلى الله عليه و آله «أن ليس السموات السبع عند الكرسي إلّا كحلقة عند فلاة و أن الكرسي عند العرش كحلقة عند فلاة»^٣ و نقل عن الزجاج أنه سبحانه أعلم بالكرسي و نحن نعلم أنه مخلوق من مخلوقاته و يكفي لنا هذا لقدر .

و قال بعضهم : «إن الكرسي اسم ملك من الملائكة و اضافته إلى نفسه من قبيل ناقة

١ . الكافي، ج ١، ص ٢١٢، كتاب الحجّة .

٢ . مجمع البيان، ج ٢، ص ٣٦٢

٣ . نفس المصدر .

الله^١ وفيه تنبيه على أن العباد لا يقدرّون على معرفته، فكيف يهتدون على عظمة جلاله سبحانه.

أقول: هذا ممّا لا وجه له يظهر بعد التأمل في الآية.

و روى الشيخ الجليل محمد بن يعقوب كليني في كتابه الكافي عن أحدهما عليهما السلام، روايات متعددة متفقة كلّها، «أنّ الكرسي فيها السموات السبع والأرض»^٢ ثم إن في كثير من الروايات أنّ العرش هو العلم^٣ وأنّ حملة العرش ثمانية.^٤ و روي عن أحدهما عليهما السلام أنّ أربعة منها منّا وأربعة من شاء الله تعالى. و من قال: إنّ الكرسي بمعنى العرش، فلعله أراد العلم و أمّا العرش بمعنى الفلك، فهو الفلك الأطلس المشهور عند الحكماء بمحدّد الجهات بحيث لا خلاء فوقه و لا ملاء.

و أقول: يلزم على حمل الكرسي على العلم الاستدراك، لأنّه قد تبين أولاً: أنّ علمه محيط بالسموات والأرض وما فيهما في قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ بعد اثبات أنّ السموات والأرض له تعالى خلقة و ملكاً و ملكاً. اللهم إنا يحمل على التأكيد دون التأسيس فيه وكذا الكلام في جملة على الملك و السلطنة والقدرة، فتأمل.

ثمّ تقول: وفي الكرسي تفسير سادس وهو أنّ صاحب الكشاف قال: تقرير لعظمته و تخييل و لا كرسي ثمّة و لا قعود كقوله: ﴿و ما قدروا الله حقّ قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيمة و السموات مطويات بيمينه﴾ (الزمر ٣٩: ٦٧) من غير تصور قبضة وطي و يمين و إنما هو تخييل لعظمة شأنه و تمثيل.^٥ و قيل: عليه لا يجوز ترك الظاهر بلا دليل، بل الله سبحانه وصف نفسه على ما تقرر في نظر العباد حيث كانوا يشاهدون ملوك الدنيا على عرشهم و كرسيهم، فيجوز أنّ يكون لله سبحانه عرش كما كان لأهل السلطنة المجازية و كان الكرسي الذي دونه بمثابة سابق العرش و أصله و رجله، فإنّ العرب، يقول: فلان كرسيه



١. الكافي، ج ١، ص ١٣٢، باب العرش و الكرسي.

٢. همان

٣. همان

٤. همان

٥. الكاشف، ج ١، ص ٣٠١

أو الكرسي أي الأصل . و سيظهر أن العباد يوم التناد بحيث يشاهدونها إلا أن ليس الله سبحانه جالساً، كما كان اهل الدنيا على سريرهم فإذا وصف الكرسي بالسعة فقد علم العرش بالسعة، بطريق الأولى، انتهى .

و أقول : هذا الاعتراض لبعض أصحابنا و ليس ببعيد ، فإن العوام بل الخواص ، يظنون أن العظمة للملوك والسلاطين ، لعظمة عرشهم و كراسيهم كما في عرش سليمان و بلقيس على ما سيطلع عليه .

و استدل شيخنا البهائي - رحمه الله - في حاشية تشريح الأفلاك ، بقوله : ﴿وسع كرسيه السموات و الأرض﴾ على أن الكرسي هو العرش ، أي الفلك الأعظم .

قلت عليه : إن القرآن يفسر بعضه بعضاً ، و السموات في القرآن كثيراً ما ، يقع مقيدة بالسبع ؛ فالمراد من السموات حيث وقع في القرآن و الحديث مطلقة ، ليس إلا السبع ؛ فإن اللفظ الذي يقع تارة مطلقاً و تارة مقيداً يحمل المطلق على المقيد كما هو دأب الأصوليين و الديدن المعمول عند المحققين على أن من قال : إن الكرسي هاهنا هو العرش كالحسن البصري كما تقدم ، فبعد صحة النقل و المنقول لأننا لسنا ممن يؤمن بكلام الحسن البصري ، فإن المطاع إما العقل أو صحيح النقل و ما ذكره خارج عنهما حيث يدل على وحدة العرش و الكرسي . و شيخنا قد جمع هناك بينهما و جعل أحدهما أعظم من الآخر و ذلك مما لم يقل به أحد حتى حسن البصري ، بل ذلك في الحقيقة من قبيل الأضغاث الأحلام كما لا يخفي على ذوي النهي .

ثم من الغرائب أنه قال بعض المعاصرين من العاجزين المبهوتين ما هذه عبارته : «لما كان الله بصدد عظمة الكرسي ، يدل بالمقام أن ماسواه في جوفه» .

أقول : و لقد أشبه هذا بما نقل عن بعض الجهلة الحمقاء ، أنه سأل يوماً أن البنات اللاتي أكلهن التمر لشعياً و يونس و كم كن ، فقال المجيب : يا هذا قد غلطت ، فاولاً ؛ أنه ابن لا بنت ، و ثانياً ؛ قد أكله الذئب و لم يأكل وثالثاً : ليس لشعيب و لا يونس بل كان ليعقوب ، فإن الله سبحانه في مقام عظمة و جلاله لا مقام عظمة الكرسي إلا أن الوصف كان بحال متعلق الموصوف ، و أيضاً إذا كان يصدر عظمة الكرسي فيدل على عظمة الكرسي لا على عظمة العرش ، فإن العرش فلك محيط بالكرسي و هل هذا إلا كما يقال : «إن زيدا عظيماً جليل القدر» ؛ لأن المقام مقام عظمة عمرو (زيد)





و قد اشتهر أن سائلاً قال لأحد: هل تعرف الحمار .
فقال المجيب: نعم هو ما له قرنان عاليان رفيعان ، فقال : كان الناس يظنون أنك لا تعرف
الحمار ، و قد ظهر أنك ماكنت تعرف الثور أيضاً .
وأيضاً كان الله و الملائكة و بعبارة أخرى العقول و النفوس و الأرواح ممّا يصدق عليه
ما سواه و ليس شئ منها في جوفه و أيضاً لم لا يكون في تحته ، فيكون الكرسي أعظم و هو
سبحانه أعلم .

[معنى ﴿ لا يؤده ﴾]

﴿ لا يؤده حفظهما و هو العلي العظيم ﴾ ، الضمير المفرد لله سبحانه ، و قيل : للكرسي :
و ضمير الثنية للسموات و الأرض أي لا يتقل الله تعالى حفظ السموات و الأرض و لا يشق
عليه ذلك أو لا تثقل الكرسي الشامل السموات و الأرض حفظ ما فيه ، فان المحاط لما
كان مكانه المحيط أي بسطحه ، بل بحسب العرف ، فان المكان عرفاً ما يعتمد عليه المتمكّن
كالسقف لمن عليه ، فالمحيط الشامل كأنه يتحمل مشقة المحاط .
و لا يخفي أن الأفلاك لا يتصف بالثقل و الحقّة و المتبادر من أن الكرسي لا يتقله
حفظ السموات و الأرض أنّهما ثقيلان و حفظهما يوجب تحمل الثقل إلّا أنّه لعظمته و
كمال قوته لا يشقّ عليه ذلك إلّا أن يقال : إن الثقل معنوي هاهنا كما يقال : حمل مثل هذا
الألم ثقيل و ذلك الغم أثقل من هذا الى غير ذلك ممّا شبّه المعقول فيه بالمحسوس و هذا
اصطلاح آخر .

و أمّا قوله : ﴿ و هو العلي العظيم ﴾ ، فلعلّه من العلو بمعنى الكبرياء و العظمة و الجلال
و العظيم أي شأنه يعني أنه سبحانه عالي القدر ، عظيم الشأن ، فهو أجل من أن يؤده حفظ
السموات و الأرض و أعظم من أن يشقه محافظة ما فيها . بل يقول :
إذا كان سبحانه هو المتعالى على كل شئ ، كما يدلّ عليه الاطلاق فهو منزّه عن النقص
و سماته و عن العجز و صمته . و إذا كان عظيماً من جميع الجهات كما علمت ، فيقدر
على كل أمر بل هو سبحانه متصف بجميع الصفات الكمالية من الجمالية و الجلالية و
قادر على نصب الامام و عدم اهمال أمر الدين و عدم حوالتة على غيره و على اعادة المعدوم

بالمعنى المعدوم و حشر الأجساد كما تقدّم و هو الله سبحانه أعلم بحقائق كلامه .

تنبيه : قيل : لما كان التقدّس عمّا لا يليق لكبرياء جلاله تعالى على ثلاثة :

الأول : الاحتراز عمّا يعرض الحيوانات ، و خصوصاً الانسان من الانفعالات العارضة و لو للعلماء و الفحول من الفضلاء من السنة و النوم ، فيغشى لهم و يمنعهم من الادراكات الحسيّة ، فتعطّلت الحواس .

و الثاني : التقدّس عن نقصان ما اتصف به من الصفات و عن كونه ناقصاً و قاصراً على وجه العموم كما هو شان الانسان في الفضائل و الكمالات المستحدثة ، فإنهم و إن بذلوا مجهودهم و صرفوا مبدولهم كانوا ناقصين من بعض الوجوه ، فإن من علم النجوم لم يعلم المخروطات و لو علم الهندسة لم يعلم الكلام ، كما يظهر بالتتابع مع أنّهم ناقصون فيما علموا أيضاً و لا أقلّ أنّهم عند الغفلة و النوم غافلون . و النسيان قد طرأ عليهم و لا يمكنهم الانفكاك عنه .

و الثالث : التوقي عمّا يعرض الأبدان و الأجساد من حمل المال و جرّ الأثقال

ففي الله سبحانه الأول ، بقوله : ﴿ لا تأخذه سنة و لا نوم ﴾ و الثاني بقوله : ﴿ له ما في السموات و ما في الأرض ﴾ و الثالث بقوله : ﴿ لا يؤده حفظهما ﴾ ، و لا يخفي أنّ ذلك العموم في التنزه أيضاً ممّا يدلّ على فضيلة هذه الآية فلوانضم الى تلك . و هذه رشاقة النظم وثاقة الأسلوب و دقة المعاني لقد بلغ أقصى ما يمكن أن يكون .

و اعلم أنّه صحّ بالتواتر عن السلف أنّ الاسم الأعظم في ثلاث من السور القرآنية ؛ البقرة و آل عمران و طه ، فقال بعض المحققين : هو الحي القيوم ، ففي البقرة ما في هذه الآية و في الثانية في فواتحها و في طه و ﴿ عنت الوجوه للحي القيوم ﴾ . وقال الفخر الرازي يؤيد ذلك ما نقل عن النبأ العظيم ، علي ابن ابي طالب - عليه من التسليمات أفضلها - أنّه قال : كنت أقاتل يوم البدر مع الكفار فغلب على الشوق على تلقاء النبي ﷺ ، فرجعت إليه رأيتة ﷺ ساجداً متكرراً يا حي يا قيوم ، فرجعت إليه كذلك مكرراً مشاهداً ذلك منه ﷺ إلى ظفرنا على الأعدا ؛ فلما رجعت إليه ﷺ بعد الظفر و الفتح رأيتة رفع عن السجدة رأسه مع كمال البشاشة ، فمواظبته ﷺ ذينك الاسمين فقد أدل على المطلوب .^١





أقول : و لا يخفي أنه لا يدلّ على كون الحيّ و القيوم منفردين كما يتلوّه ﷺ الاسم الأعظم بجواز أن يكون بعض الأسماء له مدخل في الفتح و الظفر إمّا بالخاصية أو بما علّمه له علّام الغيوب و ليس كل اسم له زيادة مدخل في ذلك الاسم الأعظم و يجوز أن النبي ﷺ كان يقرأ دعاءً مشتملاً عليه .

و بالجملة فما استنبطه الامام من باب الرجم بالغيب على أنه يدلّ على عدم وجوب النظم القرآني و من قال إنه الاسم الأعظم قال «الحيّ القيوم» كذلك ، كما في آل عمران و غيره ، نعم لو قال مولانا و مولى الثقلين الاسم الأعظم هو ، فهو نصّ بالباب و ليس فيه ذلك فليس ذلك .

[ملخص الكلام مع اضافات]

خاتمه : تأمل كيف ابتدأ باسم من الأسماء الجليلة لأجل موجود من الموجودات العينية حيث ابتدأ بلفظ «الله» الموضوع للذات المقدّسة المستجمعة لجميع الصفات الكمالية و الجلالية فقد دلّ على معنى «الرحمن الرحيم ، و الرؤف و العطوف» و غيرها ممّا يدلّ على الرأفة و الرحمة العامة لعامة الخلق و كافة الأنام كما يدلّ على معنى «الجبار القهار المتكبر» الى غير ذلك ممّا يدلّ على القهر و الغضب لمن يكفر و أعرض عنه أو استكبر و من يحذوه حذوه .

فالعقل ينبغي له إذا سمع لفظ ﴿الله﴾ أو ذكر أو خطر بباله ؛ فكأنه قد قرأ جميع القرآن من فاتحته إلى خاتمته ، بل جميع الكتب الالهية المشتملة على الانذارات و البشارات ، و الوعد و الوعيد بالجنة ، و الحور و القصور و أمثالها ممّا لا عين رأت ، و لا أذن سمعت ، و لا خطر على قلب بشر ، و بالنار و طبقاتها المتخالفة و أقسامها المتباينة التي كلّها ظلمات ، بعضها فوق بعض ؛ فيكون آمنًا طائعًا راجيًا خائفًا ثابتًا و جلاً مهاباً واقعاً بين بين (الخوف و الرجاء) إلّا أن الرجاء لو غلب بناءً على أن الأمر مع الخير خير لكان خيراً و كذلك صار ذكر الأولياء و الصديقين و الشهداء و الصالحين و المشايخ في الأربعين ﴿لا إله إلّا الله﴾ . و لمّا كان الوجود و كذا الموجود واحداً عند الصديقين صار ذكرهم ﴿لا إله إلّا هو﴾ فإن لفظ «هو» لما كان عارياً عن جميع الخصوصيات بخلاف لفظ ﴿الله﴾ ، فإنه يدلّ على الألوهية أي العبودية و التحير على الاختلاف و كان الحق تعالى مجموع ما أحاط عليه

دائرة الكون ممّا حواه السطح المحدّب للفلك الأعلى الى مركزه بجهة من الجهات ،
فليتأمل .

فلا سم اللايق بحاله إنّما هو هو ، فلذلك كان لهؤلاء ذكراً آخر كما تسمعه .
و أيضاً كما كان هو اسماً خاصاً غير مشوب بشيء من الأشياء بوجه من الوجوه ، فالتكلم
به أولاً خارج عن قانون الأدب فلذلك قال : ﴿الله لا إله إلا هو﴾ ليحصل الصلاحية و
الاستعداد أولاً بذكر ﴿الله﴾ ، ثم تكلم به ، فإن في ذلك ارشاداً حيث توسط للعباد .
و أنا أقول : ولما كان هو ذكر العارفين العاشقين ، فالعاشق لا يرتضي لكشف أسرار
المعشوق ، فلذلك اختاروا لفظاً عارياً عن جميع الآثار غيرتهم و حفظاً له ، بل لاسمه
عن الأغيار ، فاعتبروا يا أولي الأبصار .

و لنصرف عنان القلم إلى ما كنا بصدده فنقول :

ثم انتقل عنه إلى الحي الذي يتوقف عليه جميع الصفات المتضمن له لفظ ﴿الله﴾ . و
من ثمة قال بعضهم : إنه الاسم الأعظم . و لعل الاسم الأعظم مجموع الحي القيوم ، بل
مع لفظ ﴿الله﴾ . و قال بعضهم : لا انحصار لذلك الاسم و ملاك الأمر توطين النفس و
وقف الظاهر على معنى اسم من أسمائه ثم إلى القيوم الذي هو ذوجتهين ، فمن جهة القيام
بذاته يكون من كوّن السموات بماله من الصفات ، و من جهة التقويم لغيره يتعلّق بما
سواه ، ثم الى الجملة الفعلية المشعرة بالعروض و الحدوث ، فإن السنة و النوم حيث كانا
إنما يكونان بطريق الاستحداث و العروض ، فتغيير الأسلوب دلالة على تغيير المطلوب .
قيل : التعبير عنه بالمضارع من باب الإخبار بالمغيّيات ، ثم الى قوله : ﴿له ما في
السموات و ما في الأرض﴾ ، مع لام الاضافة الموضوعية للملكية ، أي الظرفية المقدّرة
بالفعلية ، فإنّ الجمل الاسمية المحضة و الفعلية المحضة ، قد تقدّمت و لما كانت هذه
فعلية تقديرية كانت أنسب بما تقدّم عليها من الفعلية الصرفة ليتلاصقا يعني يختص بالله
سبحانه و يخصه ما فيهما إبداعاً و اختراعاً و ايجاداً و خلقاً و ملكاً و حفظاً فلا يتصور في
حقّه السنة و النوم .

و من الغرائب العجاب ، أنّ الجمل العشر و إنّما كانت عشرة لكون قوله : ﴿الله لا إله إلاّ
هو﴾ جملة واحدة و كذا «الحيّ و القيوم» على رأي هو (الحيّ) و (القيوم) صفة للحيّ و إنّ
جاز أن يجعل جملة كذلك و كذا قوله تعالى : ﴿و هو العليّ العظيم﴾ جملة كذلك مع





ذلك و البواقى ظاهرة بأدنى تأمل و إنما جعلنا عشرة مع امكان أن يكون أكثر باعتبار أو أقل كذلك ، اقتداء ببعض أرباب المعارف ، و إن كان قد أهمل وجه كونها عشرة و لعل إخبارها لما قال : إنها كلها مصدرّة بلفظ «الله» تحقيقاً أو تقديراً ففيه تنبيه على أنه تعالى ينبغي أن يتقدّم على كل شى و أنه كل فعل ، فإنما يكون لخالص وجهه ، و من ثمة قيل : ما رأيت شيئاً إلا رأيت الله قبله .

و أقول : لعلها اثنتى عشر ، ففيها تنبيه على أن العلما الراسخين هم الاثني عشر - عليهم صلوات الملك الأكبر - و في ذلك أمور آخر أيضاً لا يخفى على ذوي النهى .

و من البلاغة البالغة أقصى درجات الكمال ، أن جميع ضمائر الظاهرة المفردة ، فهو الله سبحانه . و في ايراد الأسماء الإلهية مع الجمل العشر للبيان و الايضاح تنبيه على أن تبيان الله سبحانه الأشياء و شرحها أكثر من المبين ، بل كل ذرة من ذرات عالم الآفاق و الأنفس شرح و بيان لعظمته سبحانه و كبرياء شأنه .

ثم الى قوله : ﴿من ذا الذى يشفع﴾ ، فأتى بالجملة الاستفهامية المتحصلة من الاسمىة و الفعلية ، فكان أتى بالقبيلتين من هذا القسم على وجه بديع . و لما كان متعارفاً في هذه النشأة أن الناس إذا عظموا أحداً تعظيماً ، فامّا قالوا : ليس لأحد عنده محل كلام و لامجال عذر في شىء من المهام و لم يكن أحد أن تصرفوه عمّا أراد من المكروه أو المعروف ، فقد جرى هذه المجرى ثانياً ، و الحقيقة ما حققناه سابقاً .

ثم الى العلم و إن كان قد علم في تضاعيف السوابق ، فانه هو الموقوف عليه لكل كمال و فضل ، و لا يتم شىء مما له اعتبار ما إلّا بالعلم ، و ذلك لأن العلم هو الذي كان أفضل المفآخر لمن كان يؤمن بالله و اليوم الآخر . عن ابن عباس : «خير سليمان بين العلم و المال و الملك ، فاختار العلم ، فأعطى المال و الملك معه» .^١ و قال ﷺ : «أوحى الله إلى إبراهيم إنى عليم ، أحب كل عليم» . قالت الحكما : ليت شعري أي شىء أدرك من فاته العلم ، و أي شىء فات من أدرك العلم .^٢

و عن الأحنف : كاد العلماء يكونون أربابا . وعن الزبيرى : العلم ذكر لا يحبه إلّا ذكورة الرجال .^٣

١ . تفسير الرازى ، ج ٢ ، ص ١٩٢ ؛ تخريج الأحاديث والآثار ، ج ٣ ، ص ٤٢٨ .

٢ . تفسير النسفى ، ج ٤ ، ص ٢٢٦ .

٣ . نفس المصدر ؛ تفسير لالوسى ، ج ٢٨ ، ص ٢٩ .

وقوله: ﴿و لا يحيطون بشى من علمه إلا بما شاء﴾، تثبيت و تبين لقوله: ﴿يعلم﴾ مع ما يتعلّق به من وجه، و لذلك أتى بالعطف، فافهم .
ثم الى قوله: ﴿وسع كرسيه السموات﴾ إلى آخر الآية تأكيداً للعلم، و تقريباً له على أبلغ وجه و أكمل أسلوب كما تقدّم .



ثم أقول: و من البلاغة البالغة من الدرجات القصوى و الفصاحة الواقعة من المراتب العليا، أنّ كل جملة من تلك الجمل العشرة أو الاثنتي عشر، فهي من حيث إنّها جملة يصحّ عليها الوقف، ففيه تنبيه على أنّ كل واحدة منها كافية فيما هو المقصد الأقصى أعني توحيد سبحانه و انحصار الربوبية فيه تعالى، و على أنّه سبحانه مستغنى في مقام التمدح و الغناء و وصفه بما له من صفات الجلال و سمات الكمال عن غيره، بخلاف أهل الدنيا من السلاطين و الملوك و العلماء و أهل الثروة وغيرهم، فإنهم في وجودهم و بقائهم يحتاجون إلى الغير و الى الربوبية و العساكر و الاستمداد فضلاً عن المدح و الثناء . وعلى طريقنا، ففيه تنبيه على أنّ كل إمام من الأئمة الاثني عشر، يقوم مقام الآخر في كلماته (الامامة) للناس، ليأخذوا منهم معالم دينهم و معارف يقينهم، و أنّهم متساوي في الامامة و لوازمها، فسبحان من أودع فوائدها من هذه الدرر في آية، و فرائد هذه الغرر في كلمة من كلماته، فأين من يتدبّر بمثل ذلك، فيسلك إلى هذه المسالك و الحمد لله الكبير على أن وفق هذا الفقير لاستخراج تلك الدقائق .

ثم لما كانت التوحيديات الثلاث، متعاكسة متلازمة، و كذا ما يتعلّق بها فاذا تأملت بعد ذلك، و وجدت كل جملة من تلك الجمل، لاحقتها ثمرة و نتيجة لسابقتها من وجه و دليلاً و برهاناً و حجة عليه من وجه .

و هناك يظهر صحة ما اشتهر بين أرباب العرفان، حيث قالوا: إنّ الدليل الطالب، قد يصير عين المدلول و المطلوب و العاشق و المحب عين المعشوق المحبوب، فهناك ارتفع الحجاب و انكشف النقاب و طلعت شمس المعرفة من معربها و سطح كوكب دري من الآفاق و أحرقت كواكب الأعداء، و ظهر من غائب من المهدي الموعود، و خرجت يأجوج و مأجوج من مشرقها، فيأهو و يا من و يا لا إله إلا هو، صل على المحمدية الرفيعة السناء، و العلوية البيضاء، واجعلني من أفضل الناس في معرفتك و من أكملهم في محبتك و من أكرمهم منك نصيباً و أوفرهم من عندك رزقاً و قسماً و كن أنيسى في وحشتي و شفائي في علتي و مغني فقري و جابر كسري إنك أنت المنان و عليك التكلان .